

نظرية المجموعات (الزمر) والتناظر في القرآن الكريم

عرض على المحك-

Group theory and symmetry in the Holy Quran

-critically proof-

فاطمة الزهراء حبيب زحمانى*

تاريخ القبول: 2023/12/29

تاريخ استقبال المقال: 2023/11/13

تاريخ النشر: 2024/12/29

ملخص:

لا يفتأ الناس يفكرون ويعربون عن أفكارهم، حتى أن بعضهم يلجّ على ما اجتمع لديه من معطيات وملاحظات ويسعى جاهداً لإقناع جمهور البحث بما وصل إليه، منهم من ينتظم لديه من المؤهلات ما يجعل بحوثه ترقى إلى مستوى النظرية العلمية. إلا أنه من الضروري جداً تمحيصها قبل أن تنتشر بين الناس خواصهم وعوامهم.

استوقفتنا نظرية المجموعات (الزمر) والتناظر في القرآن الكريم، وكان علينا أن نتنصر لها، على أساس دعوتنا إلى تنظيم ملتقى وطني يتدارس هذه النظرية، وما كان أمامنا سوى عرضها على محك النقد، وتبعاً لذلك كله سنقدم هذه الورقة لنخضع من خلالها ما دعا إليه صاحب النظرية البروفيسور أيمن عيد الرواجفة، لشروط النظرية العلمية.

كلمات مفتاحية: التناظر، النظرية العلمية، نظرية المجموعات، النقد، الرواجفة.

Abstrac:

People are constantly thinking and expressing their ideas, so some of them insist on the data and observations they have collected and try to convince the scientific community of what they have achieved.. Some of them have qualifications that raise their research to the level of scientific theory.

However, it is very necessary to examine the talk before it spreads among specialists. The theory of groups (groups) and symmetry in the

Holy Quran attracted us, and we are supposed to defend it, Assuming that it was we who called for the organization of a symposium to study this theory, and we had no choice but to present it to critical scrutiny.

Thus, we will present this article in order to convey through it what the theorist Professor Ayman Eid Al-Rawajefah claimed.

Keywords: Symétrie, théorie scientifique, théorie des ensembles, critique, rawajafa.

1. مقدمة:

قيّض الله لي الأسباب ليصلي كتاب "التجسير بين الآداب والعلوم: نظرية المجموعات (الزمر) والتناظر في القرآن الكريم"¹، فاطلعت عليه وفهمت مقاصده ومراميها، ووقفت على فوائده ومعانيه، ونظرت في مدى شمولية النظرية التي أسّس لها صاحبها الباحث الأصيل، الأستاذ الدكتور أيمن عيد الرواجفة. وإنّ أوّل ما تبادر إلى ذهني من تساؤلات، هو: هل يمكن اعتبار النظرية التي أُلّف حولها كتاب: "التجسير بين الآداب والعلوم"، نظرية علمية أم أنّها مجرد لحات تتجلّى وتختفي هنا وهناك؟، ومن أجل ذلك حاولت ما استطعت أن أعرض هذه النظرية على محكّ النقد، لأخلص في الأخير إلى رأي واضح حولها. وقد ترتّب على هذا التوجه اعتمادي على منهج النقد العلمي².

وبعد قراءة متأنّية لمحتوى كتاب "التجسير بين الآداب والعلوم"، وجدت أنّ محوره الأساسي يدور حول نظرية التناظر في القرآن الكريم وأنها تندرج في خانة النظرية العلمية فعلاً، وذلك نظراً لتوافر جملة من الخصائص التي تميّز بها الكتاب في طرحه ومعالجته للمسألة المدروسة. وأنّها قامت في البدء على فرضيّة محدّدة، ترى أنّ القرآن ينشطر إلى

¹ أيمن عيد الرواجفة، التجسير بين الآداب والعلوم: نظرية المجموعات (الزمر) والتناظر في القرآن الكريم، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2021.

² هو منهج حديث النشأة نسبياً، ظهرت إرهاصاته في منتصف القرن العشرين، في فرنسا على يد هاربار سبانسر.

جزأين متناظرين، اعتمادا على الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ﴾¹. ولم تأت هذه المقالة انتصارا للكتاب وفكرته، وإنما جاءت بدافع الفضول والمعرفة، ولذلك، وكما ألححت في مداخلة ملتقى "التناظر في التراث الجزائري - مقارنة دلالية"²، أن موقفى، موقف علمي محض يخلو من المحاباة والذاتية.

2. في التأسيس النظري:

سأعرض فيما يلي بعض المفاهيم المختلفة التي جمعتها من بعض المراجع الفلسفية، بهدف توطئ نظرة الباحث أيمن عيد الرواجفة في خانة النظرية، عسى أن ينتفع بها كل مهتم بموضوع التناظر، سواء في القرآن الكريم أو غيره.

2. 1. مسح عام لما جاء من تعاريف للنظرية وما يلازمها من فرضية:

جاء في قاموس Merriam-Webste*، أن الفرضية عبارة عن فكرة لم تثبت بعد ولكن إذا تُوصِّل إلى الكثير من الأدلة الداعمة لها، فإنها لابد تُعرف بالنظرية في سياق المنهج العلمي، لتصبح لاحقا قابلة لتفسير ظاهرة معينة، سواء أكانت ظاهرة طبيعية أو اجتماعية أو لسانية... ومن خصائصها أيضا أنها قابلة للتطور وأنها موجزة ومتماسكة

¹ سورة الزمر / الآية 23.

² انعقد ملتقى التناظر في التراث الجزائري -مقاربة دلالية-، يوم 28 جوان 2021، من تنظيم مختبر الدلالة في المستويات اللسانية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، بقسم اللغة العربية وآدابها.

* لم أتمكن من استخراج النص الأصلي من قاموس وابستير، إلا أنني وجدت في كتب الفلسفة وحتى التعليمية منها إجماعا على ما أوردت في المتن.

ومنهجية وقادرة على التنبؤ وقابلة أيضا للتطبيق بشكل واسع وغالبا ما تدمج وتعمم على العديد من الفرضيات.

وتتصف النظرية بعدد محدود من استراتيجيات حلّ المسائل التي تنطبق على مجال واسع من الظروف العلمية، وأنها تُبقي على عدد من الفرضيات التي يمكن اختبار كل منها على حدة، الأمر الذي يجعلها تتحسن، إذ أنّ المنظر غالبا ما يسعى وباستمرار إلى جمع المزيد من المعلومات، فتزداد بذلك دقة توقعها بمرور الزمن، ويتحقق لديها مبدأ التنبؤ¹.

أردت أن أتوقف بُرهة لدى مفهوم النظرية عندما تتحقق فرضيتها كلّ مرة تقريبا، وعن مفهوم القانون، هل هما نفس الشيء؟، ثم أعود أدراجي لأقول أنّهما مختلفين بالقوة وبالأساس؛ فالقانون معرفة يقينية مسبقة تثبت صحتها كلّ حين، أمّا النظرية فقد تصيب وقد تخطئ أحيانا. والحق أنّ التساؤل الذي أوردته ليس هو الذي أردته، لأنّ صيغته ساذجة، بل إنّ الذي رمته هو: هل "نظرية التناظر" نظرية أم قانون؟ وسأحاول الإجابة عن ذلك في ختام المراجعة بإذن الله تعالى، تبعا لما سأقدمه من شرح وتبسيط لما جاء في كتاب "التجسير بين الآداب والعلوم: نظرية المجموعات (الزمر) والتناظر في القرآن الكريم".

نظرت في معجم روبير، فوجدته يحدّد مفهوم النظرية على أساس أنّها مجموعة من الأفكار والمفاهيم المجردة والمنظمة قليلا أو كثيرا، والمطبقة على ميدان مخصوص، كما وجدت معنى آخر يعتبر النظرية بناء عقليا منظما ذا طابع فرضي تركيبي².

ونظرت في المعجم الفلسفي لأندريه لالاند، فوجدتها تعني ذلك الإنشاء المعرفي الذي يربط نتائج بمبادئ. وأنّ معناها الاصطلاحي التأملي هو كونها نسق من المبادئ

¹ ناسا بالعربي:

<https://nasainarabic.net/education/articles/view/what-is-a-scientific-theory-definition-of-theory>

² عمار باسم صلاح، الفروض العلمية وضرورتها المعرفية في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة الجامعة العراقية، العدد 39، الجزء الثالث، ص 175.

والقوانين ينظم معرفتنا بمجالات خاصة من الواقع، ويتضمن هذا النسق بناء منطقيا له مكوناته واستنباطاته.

ثم ألفت كلود برنار يأتي بتعريف طريف، يقول فيه: "إنّ النظرية هي الفرضية المحققة، بعدما جرى إخضاعها لرقابة المحكمة العليا والنقد الاختباري... لكن على أية نظرية لكي تظلّ صالحة، أن تتطور دائما مع تقدّم العلم وأن تبقى خاضعة باستمرار للتحقق ولنقد الوقائع الجديدة التي تظهر. وإذا اعتبرنا نظرية ما على أنها كاملة وجرى التوقف عن التحقق منها بالختبار العلمي، أصبحت مذهبا"¹.

وحسب المعجم الفلسفي لجميل صليبا، فإنّ النظرية قضية تثبت بالبرهان، وهي عند الفلاسفة تركيب عقلي، مؤلف من تصوّرات منسقة، تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ، فإذا أطلقت النظرية على ما يقابل الممارسة العلمية في مجال الواقع، دلّت على المعرفة الخيالية من الغرض المتجرّد من التطبيقات العلمية، وإذا أطلقت على ما يقابل العمل في المجال المعياري، دلّت على ما يقوم به معنى الحقّ المحض، أو الخير المثالي، المتميّز عن الالتزامات التي يعترف بها جمهور الناس... وإذا أطلقت على ما يقابل الحقائق العلمية الجزئية، دلّت على تركيب عقلي واسع يهدف إلى تفسير عدد كبير من الظواهر، ويقبله أكثر العلماء في وقته من جهة ما هو فرضية قريبة من الحقيقة، مثال ذلك "نظرية الذرة"².

أما صاحب المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، فقد خلص إلى تعريف خاصّ به يقول فيه: "النظرية هي تصوّر أو فرض أشبه بالمبدأ، له قيمة التعريف على نحو ما، يتّسم

¹ الفرق بين النظرية والفرضية والقانون، من موقع: <https://www.mobt3ath.com/dets.php>

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الجزء الثاني من ط إلى ي، بيروت لبنان، دار الكتاب اللبناني، ص477.

بالعمومية، وينتظم علما أو عدّة علوم، ويقدم منها للبحث والتفسير، ويربط النتائج بالمبادئ"¹.

وهذا ما سنحاول تطبيقه على نظرية التناظر في القرآن الكريم، والنظر فيما إذا وافقه، بعد فراغنا من جرد التعريفات الأخرى التي كرست مفهوم الفرضية والنظرية. كتعريف باسم عمار صلاح في مقالة له²، فقد جعل تعريفه للنظرية يتمحور حول فكرة فلسفية محضة تقوم على التخمين والاستنتاج، على حد قوله³، ولتأييد ذلك جاء بقول ل.... يذكر فيه أنّ الفرضية هي: "تخمين أو استنتاج ذكي، يصوغه ويتبنّاه الباحث مؤقتاً، لشرح بعض ما يلاحظ من الحقائق والظواهر، وهذا يعني أن هذا الفرض يعمل كمرشد في البحث والدراسة التي يقوم بها الباحث، أو يمكن أن يشبهه بالرأي الذي يعتنقه الشخص في حياته اليومية، فعلى الرغم من أن الحقائق تعتبر مقدمة لكل منهما، إلا أن الفرض وحده كقاعدة هو الذي يتم اختباره من خطوات البحث التالية، بالبيانات والمعلومات ومزيدها من الحقائق ولعل الصلة الوثيقة بين الفرضية والنظرية تجعلنا نقول بترادفهما أو نقول بتلازمهما، وهذا ما حدا بكثير من المعاجم الفلسفية إلى تضمين أحد المصطلحين في حيز الآخر"⁴. يفهم ممّا سبق أن الفرضية أو النظرية هي تخمين واستنتاج سابق للحقيقة العلمية، وأنه ضروري لبناء صرح العلوم.

¹ عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، في العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية والمالتينية والعبرية واليونانية، الناشر مكتبة مدبولي، 6 ميدان طلعت حرب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000، ص 882.

² عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص 882.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

أما وقد فرغت من التأسيس النظري الذي رأيت أن أفتح به النقد، أنتقل إلى تقديم الكتاب والتعريف به من حيث فكرته ودوافع صاحبه ومنهجه وفلسفته، ومحتواه المعرفي.

2.2. خلاصة التعريفات:

أحببت أن أخلص التعريفات التي أوردتها كلها في فكرة محددة تنطوي على كون النظرية مؤلفة أساسا من فرضية، وأحيانا من عدة فرضيات ناجمة عن ملاحظات فرضت نفسها على الباحث، أو وجه إليها توجيهها، ومن ثمة تتبعها، فتتحقق حيناً وتخطئ حيناً آخر. والمثال الذي أعتمدته دوما لشرح فكري، هو ظاهرة حدوث الأمطار، حيث تفسرها نظريتان، تسمى الأولى "نظرية الاندماج"، وتسمى الثانية "بنظرية البلورات الثلجية"، وكلاهما تشرح عمليات فيزيائية وكيميائية لا يسمح المقام لذكرها هنا، وقد أختصرها بمقولة كلما توفرت شروط مناخية محددة معلومة لدى أهل الاختصاص، كلما أمطرت السماء¹.

3. عرض جزئيات النظرية التناظر في القرآن الكريم على مقاييس النظرية العلمية:

3.1. جذور نظرية التناظر في القرآن الكريم:

وضع مؤلف كتاب "التحسير بين الآداب والعلوم"، مقدمة أبرز فيها الجذور الأبستمولوجيا التي أوحى له بها، وكيف تكونت لديه، بحيث أسهب في شرح مفهوم التناظر، وكيف أنه يتجلى في كلّ ما يحيط بنا من موجودات، وأنّ التناظر هو سرّ من أسرار الإبداع والجمال؛ الإبداع كالمُنشآت والبنىات المذهلة، والجمال الذي نراه على

¹ للاستزادة، ينظر:

وجوه بعض الناس المتصفون بالحسن والبهاء، ولا أحد من الأشخاص العاديين يدرك سبب تلك الجاذبية وسحرها.

ولأجل توضيح فكرته، أحال المؤلف القارئ على أمثلة توضّح وتفسر وجود التناظر في جسم الإنسان والحيوان وقد خص الفراشة بالذكر لما لهذه الظاهرة من وضوح وجلاء على هيئة هذا المخلوق المخملي. ثم لم يغفل سرّ الجمال في الشّعْر العمودي، الذي يعتمد فيه على الشّطرين المتناظرين في العروض وموسيقى الشعر، ليحتفى فيما بعد بتوازن صوتي إيقاعي تطرب له أذن السّامع.

انتقل مؤلف الكتاب بعد ذلك إلى الحديث عن موضوع بالغ الأهمية، يقول فيه: "والتناظر من أهمّ الأسس والمتطلبات لفهم التركيب الكيميائي (وبالمدارات)، سواء الذّرية أو الجزيئية، وعلوم الأطياف كذلك". ثم قدّم نماذج دقيقة جدا من خلال عنوان فرعيّ، أسماه: "عناصر التناظر وعملياتها" ألقى فيه الضوء على ما يعرف بعناصر التناظر وأتى بمثال عن الجزيئات الكيميائية، مثل تلك الموجودة في مادّة الماء، وأنّ طريقة تمثيلها على شكل كرات حجمها يختلف باختلاف نوى الذرات، وترجم إلى كرة كبيرة تمثل ذرة الأكسجين، وكرتين متقابلتين أصغر من كرة الأكسجين، تمثلان ذرتي الهيدروجين.

وعموما فإنّ هذا المقطع مفصل بشكل دقيق، وقد ضمّته أربع صفحات. وبعد هذا الشّرح المستفيض يعرّج على تجلّي فكرة التناظر في القرآن الكريم مستندا إلى الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ﴾. وفسّر كلمة "مثاني" بكلمة "متناظر"، والتناظر هو بناء ونسق القرآن كلّهُ.

وقد أشار المؤلّف إلى ما يشبه فكرته عند القدماء أمثال السيوطي في كتابه: "أسرار ترتيب القرآن"، وابن العربي في كتابه "سراج المريدين".

ووفقا لما ذكره الكاتب فإن فكرة النظرية، القائمة على وجود تناظر أكيد في كتاب الله تعالى، كان قد استوحاها مما كان يتدارسه في علوم الكيمياء، وتحديدًا من فكرة التناظر في المركبات الكيميائية. وأحسب أنني وقفت على دوافع الرجل المعنوية التي جعلته يخوض في هذا المضمار، وعلى رأسها حبّ الاطلاع والفضول العلميين، إلى جانب حبه للقرآن الكريم وتدبر معانيه، متسلحا بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ¹ 》.

أمّا عن كلمة (الزمر) الموجودة في عنوان الكتاب فإن لها تخريجا عجيبا، قال فيه المؤلف: "ومن عجائب الأمر أنّ بعض الباحثين العرب يستخدمون مصطلح الزمر، بدلا من المجموعات فيصبح اسم النظرية، نظرية (الزمر) وهذا نفسه اسم السورة التي وردت فيها الآية التي استدللنا بها بفتح من الله على النظرية، سبحانه الله العظيم!".

ثم وجدته يثبت خطاطة على شكل شجرة، يوضح من خلالها مبدأ "نظرية المجموعات والتناظر" في السور والآيات والكلمات، وهي تحديدا كل سورة في القرآن الكريم تناظرها سورة منه في النصف الثاني منه، وقد حاولت أن أمثلها على شكل نقاط حتى تتضح الفكرة أكثر لمتلقي هذه الفرضية المقترضة.

• النوع الأول:

كل سورة في النصف الأول تقابلها سورة في النصف الثاني، ويشمل هذا النوع أيضا، في السورة الواحدة وجود آية أو مجموعة من الآيات في النصف الأول من السورة نفسها، تتناظر مع آية أو مجموعة من النص الثاني منها.

• النوع الثاني:

مجموعة من الآيات يجمعها موضوع واحد.

• النوع الثالث:

¹ سورة النساء/ الآية 82.

تناظر في الآيات التي يجمعها موضوع واحد.

• النوع الرابع:

تناظر في الآية الواحدة.

• النوع الخامس:

وهو ما يشمل السّورة أو الآية أو الجملة الأصغر التي لا مناظر لها، وقد أطلق عليها الدكتور الرّواجفة "غير منطبقة" أو "الكرالية".

ملاحظة: ممكن وضع شكل الشجرة هنا

(1. 3) ص 23

احتوت الصّفحات من 23 إلى غاية 27 من الكتاب، تفصيلا دقيقا لما ورد في الصّفحة رقم 22، مع ذكر الآيات والسّور المتناظرة المختلفة مع تلخيص ذلك في رسومات ومخطّطات توضيحية، وأشكال هندسية في عرض منطقي ممتع ومغري في الوقت ذاته؛ منطقي لأنّه يستخدم وسائل الإقناع، ويقدم أشكالاً تقريبية كشكل تناظر أصابع اليدين مع شرح لاحتمالات التناظر بينها، ومغري، لأنّه يلوّح بإمكانية تطبيق الفكرة على جميع آي القرآن الكريم، ومن ثمّة فهم وتدبر كلام الله فهما جيّدا ومثمرا على مستوى العبادة والقيادة.

ثم يردف الكاتب كلّ ذلك بجدول يوضح فيه بشكل دقيق كل ما أورده سابقا، وبعدها أراه يحمل بعض الأمثلة في جدول آخر لتتضح فيه معالم النظرية، عندما يطلق ومضات خاطفة، كما سمّاها هو، من التناظر. وذكر في هذا الجزء من الكتاب تناظر الآية رقم 70 مع آية 38 من نفس السورة، ورأى أنّ وجه التناظر بينهما يكمن في معنى الطّاقة التي يستعملها النّاس، باعتبارها وقودا. ثم ذكر مثالا آخر في سورة الكهف، وقد أدرجه ليثبت وجود التّناظر في سورة الكهف الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم مما رواه مسلم عن قتادة: "من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدّجال"،

ثم قال مسلم: قال شعبة: " من آخر الكهف"، وهذه إشارة علاقة بين هذه الأقسام وتناظرها، وإلا لما اجتزأت آخر الكهف عن أولها.

وعلى كلّ فالحديث عن أمثلة التناظر طويل، صنّف خلاله زوجية عدد الآيات والترتيب في القرآن الكريم وفرديتها، وهو التفاتة طيبة ونظرة ثاقبة لكلّ ما يتعلّق بالحساب في القرآن الكريم.

ذكر المؤلف شروط التدبر طالما كان هذا البحث وجها مشرقا من أوجه تدبر القرآن الكريم، وإني لأقف هنا في هذا المقام لأشيد بهذا العمل من حيث أنّه أحيا منهج البحث عند العرب والمسلمين، وإني بهذا العمل كقطعة من جهود المؤلفين القدامى حيث مزجوا بين الروح والمادّة، ووجه الشّبه يتجلّى في كون مؤلّف الكتاب سبق له أن تلقّى تكويننا جامعا في الكيمياء ثمّ راح يعكف على ربط معلوماته بموضوع التناظر في القرآن الكريم، وهذا دأب مبارك لامحالة.

3. 2. محتوى الكتاب:

احتوى كتاب "التّجسير بين الآداب والعلوم: نظرية المجموعات (الرّمز) والتّناظر في القرآن الكريم"، على سبع وحدات، هي:

1- الوحدة الأولى: وقد تضمّنت مقدّمة عن القرآن وأوجه الإعجاز فيهِترابط بعضه ببعض.

2- الوحدة الثانية: لخصّ فيها نظرية المجموعات (الرّمز) والتّناظر.

3- الوحدة الثالثة: تعرّض فيها لمبدأ النّظرية وشروط التدبر.

4- الوحدة الرابعة: قدّم خلالها تطبيقا لنظرية المجموعات.

5- الوحدة الخامسة: وهي عبارة عن تطبيق وأمثلة من سورة البقرة، بعد أن اتخذها نموذجا لنظريته.

6- الوحدة السادسة: استشرّف من خلالها آفاق البحث بنظرية التناظر في القرآن الكريم، وإمكانية تطبيقها على علوم القرآن وإعجازه وفي التشريع والمبادئ التربوية والعقيدة...

7- قدّم فيها رأياً جديداً بخصوص معاني الحروف المتقطعة الموجودة في بدايات تسع وعشرين من سور القرآن الكريم، باعتبار ذلك تطبيقاً للنظرية، موضحاً أنه اكتشف أنّ هذه الحروف التي تبدو مقطعة لا صلة بينها، إنما ترتبط فيما بينها بعمق، وقدّم أمثلة على ذلك، وهي مبنوثة في الصفحات من ص 203 إلى غاية ص 236، وهي آخر ما كتب، والجدير بالذكر أنّه اعتمد في تفسيره لها على أقوال ثلّة من العلماء الأفذاذ، كمثل الماورديّ والزمخشريّ وابن قتيبة والقرطبيّ...

3.3. قيمة الكتاب العلمية:

كنت قد أومأت في بداية المراجعة إلى أنّي سأقف لدى مسألة تطابق الفكرة التي عالجهها الكتاب وحدود النظرية العلمية. وبعد قراءة وتدارس محتوى الكتاب، يحقّ لنا نعرضه على المحكّ. فبالنسبة للفرضيّة فهي موجودة، وهو شرط من شروط قيام آية نظرية، لأنّ الباحث يفترض أنّ نصف القرآن الكريم الأوّل يتناظر مطلقاً مع النصف الثاني منه. وبين ذلك من خلال جدول لسور القرآن ينقسم شطرين وأنّ الحد الفاصل بينهما هو سورة العنكبوت وسورة البروج وسورة الطارق، هذا في النصف الأوّل، أمّا بالنسبة للنصف الثاني فهو يبدأ عند سورة الروم وسورة الطارق وسورة البروج، وهذا عنده مجال الحدّ الفاصل، ونقطة انقلاب أو ما أسماه بالتناظر الأفقي. وتعدّ هذه الفرضية الكبرى أو الأساسية للنظرية. وهو في سعي دؤوب إلى الإتيان بأدلة إضافية داعمة لها، وكان قد أشار إلى ما يفيد ذلك في حديثه عن منشأ النظرية حيث قال: "تحدّث السيوطي عن ربط سور القرآن بعضها ببعض في كتابه "أسرار ترتيب القرآن"، فربط كلّ سورة بما بعدها، وبيّن ذلك الترابط في السور كلها..." إلى أن قال: "وقد قال أبو بكر بن العربي في كتابه (سراج المريدين): ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني،

منظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرّض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلم نجد له حملة ورأينا الخلف بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"¹.

وهناك مجموعة من النصوص التراثية القيمة تفيد أنّ الفرضية موجودة فعلا في تراثنا الفقهي ومنه ما كتبه السيوطي والزرکشي والجرجاني، وغيرهم كثير، وإني لا أرى في ذلك إنقاصا من قيمة ما اقترحه الدكتور الرواجفة، بل بالعكس تماما هو من قبيل دفع عجلة البحث اللغوي والفقهي إلى الأمام.

4. خاتمة:

إن ما جمعته لحدّ الآن ما هو إلا تأكيد على وقوف النظرية على لبنات صلبة تمكنها في مستقبل الأيام أن تثبت صحتها إن شاء الله تعالى.

أمّا عن وجه تماسكها فإنه يتبدّى من خلال تماسك الموضوع وهو آي القرآن الكريم في ترابطاتها بأنواعها الأربعة التي تكلم عنها مؤلف كتاب التّحسير.. حيث قال شارحا: " هناك أربعة أنواع من التّرابطات، التّتابع، والتّماسك، والانسحاب، والتّكبير، وأنّ القدامى اهتموا بنوع واحد فقط هو التّتابع على ما بلغه علمي"². وهذا في حدّ ذاته نجاح للنظرية حيث أثبتت تماسكها.

وأما قابليتها للتّطور فقد أعرب عنها الكاتب بقول له جاء فيه: " الوحدة السّادسة وفيها ندعو إلى الاتجاه نحو الابتكار والإبداع والتّجديد من خلال تطبيق نظرية التّناظر في مختلف علوم القرآن وإعجازه في التّشريع، والمبادئ التربوية، والعقيدة، والمستنبطات الفقهية، والتّاريخ، والأخلاق، وأحكام التّجويد، والعلوم، وغيرها كاتجاه

¹ نفسه، ص19.

² نفسه، ص25 وص26.

جديد للابتكار والتجديد. وقد أوردنا أمثلة في اتجاهات مختلفة، داعين الجميع لتطبيق النظرية لخدمة كتاب الله المعجز¹.

ذكرت في البداية أيضا مسألة النظرية والقانون، وطرحت ذلك السؤال الساذج: هل هما نفس الشيء؟ لإثارة قضية مهمة تتعلق بنظرية التناظر في القرآن العظيم، أقول إنها قانون باعتبار الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ﴾²، لكن شريطة تكاثف جهود الباحثين، والتحامهم من أجل الوصول بالنظرية إلى مستوى الحقيقة العلمية.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية،

الجزء الثاني من ط إلى ي، بيروت لبنان، دار الكتاب اللبناني.

2. أيمن عيد الرواجفة، التفسير بين الآداب والعلوم: نظرية المجموعات (الزمر)

والتناظر في القرآن الكريم، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، الأردن، عمان،

ط1، 2021.

3. عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، في العربية والإنجليزية

والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية واللاتينية والعبرية واليونانية، الناشر مكتبة

مدبولي، 6 ميدان طلعت حرب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000، ص882.

• المقالات:

¹ نفسه، ص6.

² سورة الزمر/الآية 23.

4. عمار باسم صلاح، الفروض العلمية وضرورتها المعرفية في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة الجامعة العراقية، ع 39، ج 3.

● مواقع الشابكة:

5. univ-setif.dz/documents/Cours/Climatologie_cours_ch4L.pdf
6. <https://nasainarabic.net/education/articles/view/what-is-a-scientific-theory-definition-of-theory>.
7. <https://www.mobt3ath.com/dets.php>